التناص في ديوان الفروسية للمجاطي"

Intertextuality in the Diwan of ‘Equestrian’ by Al-Majati

د. محجوبة البفور

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية.

استمارة المشاركة

الاسم	محجوبة البفور
الدرجة العلمية	دكتوراه في (الأدب والنقد) جامعة القاضي عياض، المغرب، ٢٠١٨.
التخصص العلمي	النقد الأدبي
الجامعة	أستاذ الأدب والنقد المساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والفنون، جامعة حائل، السعودية.
الدولة	المغرب
الهاتف	٠٠٩٦٦٥٩٢٨٩٢١٣٠
البريد الإلكتروني	joubalbayz@gmail.com

الملخص:

تسعى هذه الدارسة للكشف عن طريقة بناء التناص في ديوان (الفروسية) للشاعر المجاطي وما يمكن أن يضيفه التناص من معان للديوان، وقد استعان المقال لمعالجة هذا الموضوع بما أفرزته جهود الباحثين في هذا المضمار، إضافة للزاد الفكري المشترك بين الشاعر والمتلقي وطبيعة الموضوع الذي يحمل طابعا نضاليا سنحاول الكشف عنه من خلال تناولنا مظاهر وأشكال التناص التي وظفها الشاعر.

كلمات المفتاح: (التناص) (مظاهر التناص) (نصوص من ديوان الفروسية).

: Abstract

This study seeks to figure out the method of building intertextuality in Al-Majati's collection of poems (Equestrian Diwan) and what meanings can intertextuality add to the collection of poems (Diwan). To address this topic, the article has used what resulted from the efforts of researchers in this regard in addition to the common background knowledge between the poet and the recipient, and the nature of the subject, which carries a militant character that we will try to

reveal through our treatment of the manifestations and forms of intertextuality employed by the poet.

Keywords : Intertextuality– Intertextuality manifestations – Texts from Equestrian Diwan

مقدمة:

يعد التناص من المفاهيم النقدية الحديثة التي نجد لها الأثر البارز في جل المصنفات الأدبية العربية القديمة؛ حيث يتقاطع النص الأدبي ومجموعة النصوص المختلفة التي استدعتها طبيعة المادة بطرائق متباينة في الحضور؛ ليكشفها المتلقي ويجد ذاته داخل تفصيلة من تفاصيل هذا المزج سواء كان اقتباسا أو تضمينا أو غيرها من الظواهر المحققة للتناص؛ بوصفه التعالق الحاصل بين أكثر من نص داخل نص واحد بغية إضافة مزيد من التأثير على المتلقي ونقل التجربة بوعي فكري غني؛ حيث أن « أي نص كيفما كان جنسه أو نوعه لا يمكنه إلا أن يدخل في علاقات ما وعلى مستوى ما مع النصوص السابقة أو المعاصرة له ».[1] وعليه فداخل كل متن الشعري أو النثري يقطن نصا آخر من خلال عملية تداخل النصوص الشعرية والنصوص غير الشعرية أو العكس؛ وهو ما كان قد أشار له النقاد العرب قديما؛ حيث علوا التناص بابا واسعا يتطلب الدقة في اختيار المتناصات؛ حيث «لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه، وفيه أشياء غامضة إلا عن البصير الحاذق بالصناعة وآخر فاضحة لا تخفي عن الجاهل المغفل، وقد أتى الحاتمي في " حيلة المحاضرة" بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها محصول إذا حققت : كالاصطراف، والاجتلاب، والانتحال، والاهتدام، والاعارة، والمرافدة، والإستلحاق وكلها قريب من قريب».[2] وإن يبدو من اختلاف في تسميات تلك المتعلقات بالتناص كما تداولها المحدثين اليوم إلا أن كنها وجوهرها واحد

---

[1]- سعيد يقطين/ الرواية والتراث السردي: من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي، ط ١، ١٩٩٢، ص ١٠.

[2]- ابن الر شيق / العمدة في محا سن ال شعر وآدابه ونقده: تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للن شر والتوزيع، بيروت، بـ ط، ص ٢٨٠.

فكيف تحقق التناص في المتون الحديثة؛ وما هي الآليات التي استعان بها الشعراء لإثراء نصوصهم؛ هو ما سنتطرق له من خلال استقراء نصوص ديوان "**الفروسية**" لنكشف النقاب عن طبيعة النصوص المختلفة التي استدعاها المقام والتي توسل بها المجاطي في رحلة بناءه واقع تؤطره علاقات متينة مع المتلقي اعتمادا على زاد معرفي مشترك بينهما.

تأصيل المفهوم:

ترتبط حداثة مفهوم التناص بعراقة الأدب عموما؛ إذ أن الأدب عادة ما يستعين بنصوص خارجة عن طبيعة النص ذاته، إيمانا من صاحبه أن الاستشهاد يضفي على القول مصداقيه وتوثيق؛ حيث إن ممارسة هذا المزج والتداخل إنما يستدعيه المقام وليس مدعاة للزخرفة أو الحشو، مما أكسب هذا التداخل مشروعية الانتماء العفوي للنص الأصلي؛ وهو الانتماء الذي شهد دراسات واهتمام من الباحثين في الساحة النقدية؛ حيث تعود بوادر إنتاج مفهوم التناص لجوليا كريستفيا التي أخذته من مفهوم التصحيف" الذي تطرق له قبلا سوسير؛«وقد استطعنا من خلال مصطلح التصحيف الذي استعمله سوسير بناء خاصية جوهرية لاشتغال اللغة الشعرية عيناها باسم التصحيفية أي امتصاص نصوص متعددة ».[٣]؛ فداخل كل فضاء إبداعي تتداخل نصوص أخرى تثير ذاكرة القارئ الذي يرحل بين ثنايا النصوص اعتمادا على زاده المعرفي ومتناصات المبدع؛ «ترحال للنصوص وتداخل النصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة متقاطعة من نصوص أخرى».[٤].

---

[٣]- جوليا كريستفيا/ علم النص: تح فريد الزاهي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٠، ص٢١.

[٤]- محمد بازّي/ تقابلات النص وبلاغة الخطاب: نحو تأويل تقابلي، للدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٠، ص ١١١.

التناص عند الراسين والنقاد العرب

يشكل التعانق والتداخل بين النص الأصل والنصوص الأخرى المنطلق والأساس الذي أكده الباحثون العرب لتأسيس التناص؛ سواء كان بقصد أو غير قصد**حيث**؛ « يتعلق بالصلات التي تربط نصا بآخر وبعلاقات أو التفاعلات الحاصلة بين النصوص، مباشرة أو ضمنا عن قصد أو غير قصد أي نص كيفما كان جنسه أو نوعه إلا أن يدخل في علاقات على مستوى ما مع النصوص السابقة أو المعاصرة له »[٥]؛ إن حضور نصوص مخالفة للانتماء الأصلي للنص إنما تدل على ثراء البعد الثقافي من جهة وعلى وجود تفاعل بين القديم والمعاصر من جهة أخرى؛ حيث يسهم هذا الحضور في تبديد غموض النص تلميحا أو توضيحا، بالاقتباس أو الاستشهاد أو كلاهما؛ حيث «يتضمن نص أدبي ما نصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه، عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب بحيث تندرج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه لتشكيل نص جديد واحد متكامل»[٦]؛ وهي التداعيات التي خولت للباحثين القطع بعدم وجود نص منغلق على ذاته؛ فكل النصوص تتسع لتشمل نصوصا أخرى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يؤولها المتلقي بناء على رصيده المعرفي وتطالعات النص المقروء بغية تفكيك مغلقات وبنايات النص، فهو «ظاهرة نصية ثابتة تجعلنا نسعى لتفكيك النص بهدف معاينة علاقته بغيره، من النصوص التي حاول تمثلها، واستعابها وتحويلها في بنيته النصية لتصبح جزءا أساسيا في بنيته»[٧] ؛ وعليه فالتناص هو التداول الدلالي الذي شاع به المفهوم في مجال النقد وتناولته الدراسات الحديثة بالتمحيص لتكشف انفتاح النص بمعية التناص

٥- سعيد يقطين/ الرواية والتراث السردي، ص ١٨.

٦- أحمد الزغبي/ التناص نظريا وتطبيقيا، عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ٢، ٢٠٠٠، ص١١.

٧- سعيد يقطين/ انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي للنشر، المغرب، ط ٢، ٢٠١٠، ص٩١.

على أبعاد فكرية لا متناهية؛ تنمو بها أفكار الأديب في محيط التلاحم المعرفي المشـــترك بينه وبين المتلقي وبينهما وبين معارف أخرى لتشكل؛ «ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح»[٨]. فكيف حضر التناص في ديوان المجاطي وكيف أثرى التناص الفروسية التي يسعى لها المجاط، وماهي أنواع التناصات التي استدعاها الشاعر في ديوانه؟

٨- محمد مفتاح/ تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت ط ٢، ١٩٨٦، ص١٣٤.

تجليات التناص في ديوان "الفروسية"

وظف المجاطي تناصات مختلفة في ديوانه من خلال اختياره بعض عناوين القصائد والأسطر الشعرية التي تتعالق مع التراث العربي عامة؛ ليمتح منه إيحاءات دينية ورمزية ومكانية وتاريخية تجسد رؤيته الشعرية، وتثري عالم القصيدة فنيًا وفكريًا مما أسهم في ثراء الديوان وجعله فسيفساء مزخرفة بشتى أنواع التناصات التي تنقل وجع وأمل الشاعر وهو الذي عاش مشغولا بخلاص العالم العربي من كل أنواع الذل والاخفاق.

إن كشف خبايا التناص يفرض علينا الانطلاق من العناوين التي تشكل العتبة الأولى للنص نظرا لما تثيره من قضايا وإشكالات جعلته يحتل الصدارة ضمن اهتمام الباحثين الذين أعدوا له علما خاصا أدخله جيرار جنيت ضمن عتبات النص؛ التي تحمل بين ثناياها ثراء معرفيا يفتح طلاسم متون النصوص ليشكل أحد موازيات النص؛ حيث إن اختيار العنوان يضفي تشويشا أو غموضا أو توضيحا ليصبح جزاء من المتن لكونها يتوسل بإشارات تناصية مختلفة «يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته»[٩] ولعله التناص ذاته الذي سنكشفه من خلال ديوان الفروسية بالوقوف على عتبات النص وأهم ما يميز ملامحه.

ملامح العتبات في ديوان المجاطي

تطغى سمة الحزن والألم على جل عناوين "ديوان الفروسية" ولعلها السمة التي استنجد بها بطريقة ضمنية أو صريحة من التراث العربي قرآنا أو شعرا، حيث يحيلنا اختيار المجاطي لعنوان **"عودة المرجفين"** على السمة التي صاحبة الغائبين من الرحلة؛ حيث يبدو أن العودة كانت عودة بخيبة أمل ويأس تزجمها

٩- محمد مفتاح/ دينامية النص، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت ط ٢، ١٩٩٠، ص٧٢.

لفظ (المرجفين)؛ وهي خلاف لما هو متوقع في عرف الغياب الذي يفترض أن يرجع أهله بالغنائم والبطولات؛ فقراءة المتن تؤكد توفيق المجاطي في اختيار العنوان الذي قدم النص بشكل مختزلا عندما قدم العنوان بلفظ يتقاطع والبعد المعرفي المسبق للقارئ وظروف مجتمعه، والمجاطي بهذه الإحالة اللفظية ينتقل من زمن الرحيل بحثا عن تحقيق الفروسية للوصول لزمن الانهزام والسقوط زمن العودة؛ وبين ثنايا هذا الزمن الذي يطبع العنوان تتجاذب الشاعر مشاعر تتزاوج بين الموت والحياة؛ الحلم بالتصالح مع الواقع والرغبة في تشييد أمجاد الماضي ومعانقة حلم انتصار المستقبل؛ ليصبح العنوان دالا مؤثر على المتلقي وناقلا فعليا لمحتوى المتن؛ وهي السمة التي طبعت عناوين قصائد ديوان "الفروسية" إذ « لا تخلو عناوين قصائد " الفروسية" من دلالة وإيحاء إذ تشير إلى طابع الجنائزي الذي يسم السهوب الدلالية للنصوص (الخوف، عودة المرجفين، كبوة الريح، السقوط...) وتحيل هذه العناوين على حالات قصوى من التظي في واقع مرعب، موبوء، ينغل بأوشحة الموت وأكاليل الرجفة»[١٠] **وهو عنوان يوحي بالاتصال بالتقاليد العربية التي ترى في العائد نصرا وتتشوق أملا في تحقيقه للمبتغى وهو ما يكشف عن هوية الشاعر واتصاله بالأعراف العربية.**

جاء ديوان المجاطي بملامح حزينة متدمرة لوضع وحال الشعوب العربية المسلوبة الإرادة يعكس هذه الانفعالات اختياره لبعض عناوين القصائد؛ كقصيدة "كبوة الريح" التي تطالعنا بشحنة من التذمر يفرضها العنوان الذي استهله بلفظ (الكبوة) التي ارتبطت في الموروث العربي بالجواد ثم بالريح التي تحيل على دلالات تختلف بين الرحمة وبين القوة والغلبة والنصر؛ وهي الغلبة التي يعيشها العالم العربي والرحمة التي

[١٠]- حسن لشكر/ النسق الشعري في ديوان الفروسية، مجلة المشكاة، وجدة، ع ٢٤، ١٩٩٦، ص٥٥.

يسعى لها الشاعر لهذه الامة؛ فمشاعر الخيبة تشقق دواخل المجاطي والبؤس يوج به في عوالم الاغتراب والانطواء الذي تترجمه أسطر القصيدة من حيث تفلوتها في الطول استنادا للحالة الوجدانية للشاعر.

كما أن اعتماد المجاطي على استدعاء الواقع فرض عليه التوسل بالمعجم العربي للأمثال حتى يضفي مصداقية على قوله؛ فنجده في مكان أخر يصف هذه العودة" التي لم تفارق مخيلته بالمثل القائل "خفي حنين" الذي اتخذه عنوان لقصيدته كناية عن الإخفاق والإحباط؛ « يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة وقال ابن السكيت حنين كان رجلا شديدا ادعى إلى اسد بن هاشم فقال عبد المطلب وعليه خفان أحمر أن فقال ياعم أنا ابن أسد بن هاشم فقال عبد المطلب ولا ثياب ابن هاشم ما أعرف شمائل هاشم فيك فارجع فرع فقالوا رجع حنين بخفيه فصار مثلا»[١١]؛ دلالة مرجعية تضفي على القول مشروعية الصدق وتحتم على القارئ المعرفة المسبقة بتمثلات هذا المثل وإن يبدو أن الأمر تضمين لمثل عربي إلا أن استدعائه كان لازما على الشاعر لأنها أكثر الألفاظ اتساعا للمشاعر التي سيطرت على الشاعر وتعبر عن الهم الذي سيطر عليه وعلى كافة الشعب المغربي.

يشكل الشعر أيضا الزاد المعرفي لكل كاتب أو شاعر بالإضافة إلى أنه مصدرا من مصادر التراث التي تثري النصوص وتضفي عليها مصداقية وقد توسل المجاطي في ديوانه بجملة من النصوص الشعرية العربية سنحاول التناول بعضها من خلال التناص الشعري.

[١١]- أحمد بن محمد النيسابوري (الميداني)/ مجمع الأمثال، مؤسسة الطبع والنشر للآستانة، بـ ط، ١٣٠٠، ج١، ص٣٠٨.

التناص الشعري:

يحضر الشعر العربي في ديوان المجاطي بألفاظ ذات دلالة لفظية وأخرى معنوية لتكشف عن الهم الإبداعي الذي عاناه الشاعر بمعية غيره من الشعراء؛ خاصة وأن الشعر العربي القديم جزء من التراث العربي؛ الذي استمد منه المجاطي قوته ليعبر عن واقع العالم العربي الذي يعيش الهوان والذل بعد انهزام الغائبين الذين أطفأوا سيوفهم ليصروا كضباب؛ حيث يقول: [١٢]

قيل أفوخت حربُء

في وجوههم

وقيل باضت

قُبَرَه.

وتتقاطع ألفاظ السطور الشعرية أعلاه مع قول الشاعر طرفة بن العبد:

يالك من قبرةٍ بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

قد رفع الفخ فماذا تحذَري ونقري ما شئتِ أن تُنقري

وفي القول دلالة قوية على هوان الفرسان وذلهم الذي أكده أيضا لفظ (القبره) الذي استعان به المجاطي وهو العصفور الذي أضحى أمام خوفهم واستسلامهم يسكن فوق رؤوسهم ويبيض وهو المعروف بشدة الخوف، والأمر ذاته ينطبق على الحرباء التي عشعشت لتفوخ على ووجوههم دون أدنى حركة منهم وذاك أكبر اخفاق وذل من من يزعمون الفروسية التي يدعو لها المجاطي ويرغب في تحققها لا سيما وهو المشهور

[١٢]- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص١٧.

بقوميته العربية المتجذرة.تحضر اللمحات التراثية في ديوان "**الفروسية**" بصفة بارزة؛ حيث استعار المجاطي في بناء رؤيته الشعرية بكلمات وتعابير تشكل مضرب للأمثال المعروفة؛ إذ نجده يقول في قصيدة" **كتابة على شاطئ طنجة** ":[١٣]

ربما عاج بنا الفجر على دارة من نهوى قليلا.

فخططنا في نقا الرمل، ولم تحفظ.

يتناسب السطر الأول من قول المجاطي مع ما أورده قبلا أبي نواس في قوله:

عاج الشقي على دار يسائلها وعجبت أسأل عن خمارة البلد

في حين استلهم تصوير السطر الثاني مما اختزنته ذاكرة التراث من قول أحمد شوقي:

فخططنا في نقا الرمل فلم تحفظ الريح ولا رمل وعى

فعلى قدر مستوى الهم الذي يعيش دواخل الشاعر جاءت خيبة أمله قوية خاصة وأنه وضع تطلعاته على كف الريح وخطها على الرمل وكلاهما أسوء من حال أمته وحال من كان يرجو فيهم وبهم نصرة البلاد والعباد؛ تتجاذب الشاعر الكثير من المشاعر المسكونة بالمقارنات بين حال الشعوب العربية قديما حيث المجد والعزة، وحالها اليوم حيث الغربة والتشرد الذي بات يضني كيان مجتمع مسلوب الإرادة فاقد للحرية؛ وهو الهم الذي أرق الشاعر وجعله يتوسل ببعض ما جاء في التراث الشعري القديم حتى يحث هممهم قد ولت ويوقظ عزائم قد ترسبت من وطئت القهر والظلم، حيث يقول: [١٤].

---

[١٣]- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص ٦٧.

[١٤]- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص٤٨.

هذه هتافاتنا

تملأُ الرحبَ

أنا بالثورة عانقت السماء:[١٥].

دعوة لتأجيج الحس النضالي بين صفوف مجتمعه خاصة بين طلاب "ظهر المهراز" بمدينة فاس ومالها من دلالات علمية وتاريخية تجسد عراقة ومجد المدينة وهو بهذا يحقق تناصا دلاليا يذكرنا بالإصرار الذي دعا له أحمد شوقي في نفس الطرح النضالي بقوله المشهور:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تأخذ الدنيا غلابا

ويعد هذا التناص من وسائل الشاعر في الكشف عن الهم الذي يسكنه تجاه القضية المغربية خاصة والقضايا العربية عامة؛ لينفس عن مواجده ويبث لواعجه؛ ولا يمكن أن يستحضر المجاطي شدة عزمه بالدفاع عن حلم جمعوي دون أن يستحضر عزيمة وحرص المتنبي على طلب المجد والوجاهة؛ حيث يستوحي قوله: [١٦].

ولم يبق الاك

للخيل والليل

إن حضور هذه الألفاظ مع دلالات النص وانفعال الشاعر هي تصويرا للواقع واتصاله بالخيال وتذكرنا بالمنحى الدلالي الحاضر في شعر المتنبي في قوله:

١٥- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص١٥.

١٦- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص٩٢.

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

حاول المجاطي إعادة تشـــكيل رؤيا حداثية معاصـــرة تمس الواقع؛ يربط فيها النســـيج النصـــي بنصـــوص التراث وملفوظاته بغية إخراج النص من محدودية الأداء والتعبير إلى أفق دلالي يســـتطيع من خلاله إلباس النصـوص وجهات نظر جديدة. ولعها الجدة نفسـها التي بحث عنها المجاطي في النصـوص القرآنية ليضفي على الفروسية مشروعية دينية تزيد من ولاء وتعلق المتلقي بالقضية الوطنية والعربية.

التناص القرآني

إن وعي المجاطي بدور الوازع الديني الذي يعد إحدى أهم العناصر التي تؤثر في المتلقي وتكسب النص مصـداقية جعله يعكف على المتح من القرآن الكريم لاسـتدعاء بعض آى أو ألفاظ القرآن الكريم لقصائده؛ لنقل حمولة معاناتهوكشف تطلعاته؛ حيث يقول في قصيدة "**سبتة**"[١٧]. «هل همست نسمة،

أن تطوان جاريةٌ

أن مراكشاً تنفش العهنَ

استحضر المجاطي في السطر الثالث من القطعة أعلاه بعض ألفاظ سورة القارعة(٥) التي يقول فيها عز وجل " يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش"؛ استدعى وضع تطوان المزرى والذي يشبهه كثيرا حال مراكش التي تعاني الانكسار ذاته هذا التقاطع الدلالي الذي ورد في الآية؛ فرغم قوة وجبروت هذه الأماكن فقد تشوهت معالمها وباتت مع ضعف أهلها صغيرة أمام جبروت المستعمر؛ وقد استمد المجاطي مشهد الهول من سورة القارعة؛ حيث يبدو الناس في ظله صغارًا رغم كثرته(كالفراش المبثوث) مستخفون في حيرة الفراش الذي يتهافت على الهلاك؛وكلها دلالات على زوال عالم وظهور آخر؛ «فحصل في هذه الآية تهويل شديد... والعهن الصوف وقيل: يختص بالمصبوغ الأحمر، أو ذي الألوان...والمنفوش: المفرق بعض أجزائه عن بعض ليغزل أو تحشى به الحشايا ووجه الشبه تفرق الأجزاء لأن الجبال تندك بالزلازل ونحوها فتتفرق أجزاء» [١٨]؛ إذا استطاع الشاعر من خلال التناص مع هذه

---

[١٧]- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص٧٧.

[١٨]- محمد الطاهر ابن عاشور/ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ب ط، ١٩٨٤، ج ٣٠، ص٥١٢/٥١٣.

الآية الكريمة أن يعطي لدلالات قصيدته بعدا تواصليا وتفاعليا مع الموروث القرآني بما يعزز بنية القصيدة ويقوي دلالاتها الفنية والجمالية وإحالاتها الثقافية.

التناص اللفظي

تتقاطع بعض ألفاظ الديوان مع ألفاظ من سور قرآنية أخرى؛ حيث إن قوله (كيف فاض الماء على التنور) من قصيدة "عودة المرتجفين" [١٩]؛ فيه إشارة واضحة لتعانقه وقوله تعالى في سورة هود ٤٠: { حتى اذا جاء أمرنا، وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين..."؛ وهي دلالة على عودة الفرسان الذين يشكلون طوق النجاة لمجتمعهم دون أن ينضج النضال ويفيض النصر على الشعوب العربية؛ « فإن التنور هو الموقد الذي ينضج فيه الخبز فكثرت الأقوال في تفسير التنور ...فمن المفسرين من أبقى التنور على حقيقته، فجعل الفوران الماء من أحد التنانير وأنه علامة جعلها الله لنوح –عليه السلام– وإذ أفار الماء من تنوره علم أن ذلك مبدأ الطوفان فركب الفلك وأركب من معه»[٢٠]؛ جاء أيضا قول المجاطي **(ويا أرضُ بلعي ماءك)** من قصيدة السقوط[٢١]؛ ليتقاطع مع ملورد في سورة هود٤٤ في قوله تعالى " وقيل يا أرض بلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر"، فالسقوط الذي آل إليه العالم العربي إنما جاء بعد طوفان أغرق الأرض بجبروت المستعمر الذي خاطبه المجاطي بياء النداء المستوحاة من خطابه عز وجل؛ حيث « خطاب الأرض والسماء بطريقة النداء وبالأمر استعارة لتعلق أمر التكوين بكيفيات أفعال في

---

[١٩]– أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص١٨.

[٢٠]– محمد الطاهر ابن عاشور/ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ب ط، ١٩٨٤، ج ١٢، ص٧٠.

[٢١]– أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص ٦٥.

ذاتيهما وانفعالهما بذلك كما يخاطب العاقل بعمل يعمله فيقبله امتثالا وخشية، فالاستعارة هنا في حرف النداء وهي تبعية »[٢٢]؛ كما استمد الرغبة في الوضوح وكشف ما يختلج جوارحه بقوله: [٢٣].

وأنا أراود كل شاردة

لاسكن

وحصحصت البدائل

يتقاطع لفظ حصحص" مع قوله تعالى في سورة يوسف ٥١" قالت امرأة العزيز لآن حصحص الحق"؛ في حين عوج في مواطن أخرى من ديوانه على ذكر بعض أسماء سور القرآن نظرا لتتماشى مع النص الأصلي؛ فحديثه عن نساء مدينة القصر؛ يستحضر معه سورة (المائدة)؛ « اشتمال هذه السورة على أغراض تشبه ما اشتملت عليه سورة النساء عونا على تبيين إحداهما للأخرى في تللك الأغراض » [٢٤]؛ حيث يقول المجاطي:[٢٥].

أم يقرأ الآن ما يتيسر

من سورة المائده.

---

[٢٢]- محمد الطاهر ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ج ١٢، ص٧٨.

[٢٣]- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص ١٢١.

[٢٤]- محمد الطاهر ابن عاشور/ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ب ط، ١٩٨٤، ج ٣٠، ص٥١٢/٥١٣.

[٢٥]- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص ٤٧.

يتخذ القرآن الكريم داخل الديوان صورا شتى تتنوع بين اللفظ والمعنى والرمز والإيحاء لتكون مدخلا لتزكية الصورة التي ارتأى المجاطي إيصالها للمتلقي؛ وإلى جانب هذا الترابط الديني يرتبط المجاطي ارتباطا شديدا بالموروث المحلي الشعبي وهو ما جعله يستثمر جملة من التناصات اللغوية المحلية والشعبية لتشكيل بنية ديوانه وانتظام انساقه، لاسيما وأن دعوته جاءت عامة تشمل كافة المغاربة بمختلف مستوياتهم الفكرية والعلمية إضافة أن القضية هي قضية عربية مغربية تستدعي هذا النوع من التناص.

التناص: اللغوي/ المحلي/ الشعبي

يأخذ التشكيل التناصي عند المجاطي سمتا شعبيا وفلكلوريا عميقا، ينجح فيها الشاعر بتجاوز المواضعات النصية لحضور هذه النصوص وتداعياتها لتتماهى مع النص الأصلي؛ حيث استنجد المجاطي في قصيدة "**الفروسية**" بتسميات شعبية لأسلحة حربية ليثير همم المغاربة ويحثهم على المقاومة كما عهد السلف؛ فجاءت ألفاظ (**الشد/ المجدول/ الكمية**) [٢٦]؛ مخاطبة للبعد النضالي حيث يشكل (**الشد وهو عمامة الفارس/ والكمية وهو خنجر مغربي معقوف/ المجدول حمالة للخنجر**) رموز تحيل الذاكرة المغربية على قوة الدفاع وعظمة المجد؛ الهمة ذاتها ألفيناه في استحضاره للفظ (**القرس**) [٢٧]، الذي استدعاه المجاطي من القاموس الشعبي ليحيل على (مكبس البارودة) وقد اختار الشاعر أن يبقي وفيا لهذا النمط من التناص وأن يدخله بين ثنايا النص ليستنهض الهمم ويجدد الأمل بألفاظ مستقاة من الواقع المعاش.

التناص الزماني والمكاني

يستعين الشاعر أيضا ببعض الأزمنة التي تشكل فارقا دينيا وشاهدا على أحداث تاريخية مستوحاة من النص القرآني، حيث إن الرغبة في خلاص (طنجة) من الاحتضار جعلته يحتمي بالزمن ليطوي حالها اليوم ويتطلع لمستقبل أفضل؛ فنطلق من زمن (اليرموك/ الزلاقة) الذي يشهده على موت كل الأشياء في (طنجة) ليصل لزمن الحلم الذي تتجاوز فيه المدينة عثرتها وتستعيد أمجادها.

---

[٢٦]- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص٢٥.

[٢٧]- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص٢٥.

يخر ديوان المجاطي أيضا بعدة إيحاءات مكانية وزمانية تحيل على أمكنة معروفة تاريخيا؛ إذا زاوج في قصيدة "**دار لقمان ١٩٧٥**"[٢٨] بين المكون الزمني والمكاني ليتقاطع هذا العنوان مع رمزية لقمان الذي يعد دالا في القرآن الكريم على الحكمة التي وهبها سبحانه تعالى للقمان حيث؛ «ابتدىء ذكر لقمان بالتنويه بأن آتاه الله الحكمة وأمره بشكر النعمة، وأطيل الكلام في وصايا لقمان وما اشتملت عليه: من التحذير والإشراك»[٢٩]؛ وهي الدلالة التي ارتأى المجاطي أن يلحقها بـ "الدار البيضاء" التي شهدت أحداثا تاريخية ستبقى راسخة في ذاكرة المغاربة؛ خلدها المعطى الزمني (١٩٧٥) الذي أردفه المجاطي بالعنوان، للتنويه بعظمة الحدث التاريخي الذي أضفى على العنوان مصداقية تتقاطع والمعطيات التاريخية.

تتخلل ديوان المجاطي أماكن تشكل فارقا جغرافيا وتاريخيا في المغرب؛ حيث يطالعنا في قصيدة "**ملصقات ظهر المهراز**" باستحضار مدينة "فاس" التي تشكل منارة علمية ليعلن انطلاق الثورة منها،فجاء العنوان بلفظ " الملصقات" أولا كناية عن الإعلان عن أمر قد يكون غالبا ثورة لاسيما اذا ربطنا الملصق باللفظ الأخر من العنوان" ظهر المهراز" الذي يشكل الشرارة الفكرية والعلمية لكل طالب علم؛ وقد استعان المجاطي بهذا المكان في أكثر من موضع لأنه يشكل تناصا تاريخيا ودلاليا عند المغاربة؛ حيث تشكل مدينة "فاس" معلمة علمية وإرثا فكريا؛ كما لا تخلو "الرباط" من حمولات دلالية جعلت المجاطي يقتبسها كمعطى مكاني يؤسس لتقنية التناص؛ فكل ولادة جديدة لابد لها من مخاض عسير تنتصر فيه على الوجع والانكسار، وتحقيق ذلك عند الشعب المغربي تتحكم فيه قرارات إدارية وجهتها "الرباط" الذي يعد عاصمة إدارية في عرف المغاربة.

---

[٢٨]- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص ٣١.

[٢٩]- محمد الطاهر ابن عاشور/ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ب ط، ١٩٨٤، ج ٢١، ص١٣٩.

ولا يمكن أن يتذكر المجاطي الألم والحسرة دون البكاء على مآل "طنجة"؛ حيث بات الموت يسكون أزقتها وأروقتها؛ إذ لا شيء غير الظلام يسود ولا حركة غير ترنم بعض السياح في العتمة، لتصبح طنجة أطلال يبكي ويستبكي عليها الشعراء بعد ما كانت رمز الجمال ونبض الحياة وحال طنجة استدعاه المجاطي ليدل على حال المغاربة، يرافق حلم المجاطي باستعادة (طنجة) أمجادها وألقها تذمر وبكاء على مكون مكاني استحضره الشاعر كشاهد يوثق به حال مدن المغرب التي باتت عرضت لنهب والسلب؛ حيث (سبتة) في الضفة الشمالية تعاني بصمت قاتل لأنها تشكل دلالة السلب والحصر؛ فجاء بلفظ (سبتة) بطريقة مباشرة تخاطب قسوة الواقع وتكشف المفارقة بين سبتة في ذاكرة المغاربة وسبتة على حالها اليوم وهو الزاد المعرفي ذاته والاحساس المشترك الذي أسس للتناص داخل القصيدة. والحديث عن الزمان يحيلنا غالبا على المكان وما مدى ارتباطه بالأحداث التاريخية التي عاشها المغرب واستحضرها المجاطي في ديوان الفروسية من خلال التناص المكاني.

التناص المكاني في ديوان الفروسية

إن الحديث عن المكان يحيلنا لا محال لمدينة (الدار البيضاء) التي تشكل للمجاطي الموطن والانتماء حيث ميلاده وطفولتها وتوجهه؛ وتشكل للمغاربة الدعم والسند بوصفها العاصمة الاقتصادية، وقد عرج المجاطي على استحضارها بشكل حميمي في أكثر من سطر شعري ليخاطب الحس النضالي للمغاربة في طرح مقارنة بين حال (الدار البيضاء) قبل وبعد الذل والانكسار؛ وغير بعيد عن الانتماء المحلي يخاطب المجاطي في ديوانه الحس القومي العربي من خلال قصيدة " القدس" حيث استحضر فيها رمزية "القدس" الذي يشكل رمزا تاريخيا ودينيا باذخا يناشد حميمية مفتقدة وعزيمة موعودة شكلت شرخا مؤلما في جسد

الأمة العربية؛ ان اختار الشاعر هذه الألفاظ كعناوين لقصائده إنما كانت رغبة منه لتكريس المكون المكاني في ذهن المتلقي الذي يكرس هزائم الخضوع ويقوي عزائم المستعمر في السيطرة والاستغلال؛ وهي دعوة صريحة منه للتأمل في حال المغرب والأمة العربية، وهو التأمل الذي نجد له بعض الأثار في ديوان الفروسية التي استحضرت المكون الصوفي من خلال بعض التناصات النصية.

التناص الصوفي

انتخب المجاطي بعض ملامح رموز التصوف ليضفي على نصه شحنة تأثيرية، حيث اتخذ من الموت باستعمالها الاصطلاحي دالا باعثا للتغيير؛ فالشاعر يحس بالموت بناء على واقع العالم العربي الذي تغلفه شتى مظاهر الموت والدمار؛ فالحنين للموت من خلال النضال والتضحية لعتق "**القدس**" هو حياة جديدة لجيل جديد، فموت الأمة العربية ليس موتا نهائيا بل هو المرحلة التي تسبق البعث والتجديد؛ خصوصا أن بلوغ القدس محفوف بالموت لا محال موت بطعم حياة أخرى؛ فالحياة لا تتولد إلا من رحم الموت؛ وهو ما عبر عنه بالقول: [٣٠].

أيا بابا إلى الله لرتمى

من أين أتيك

وأنتِ الموت، وأنتِ الموت

أنتِ المبتغى.

٣٠- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص٥٦.

إذا أن تكرار لفظ "الموت" في السطر الثالث جاء للدلالة على حياة جديدة ستبعثها لفظ "الموت" الأولي الذي هو النضال في وجه المستعمر وهي دعوة صريحة للنضال المفضي للحرية التي زكيها لفظ "المبتغى" الدال على نقطة الوصول؛ تعد تجربة الموت والحياة من أعمق التجارب التي رسخت الحداثة على مستوى الابداع عند الشعراء المحدثين لنقل مختلف ظواهر الإخفاق والانكسار التي يتخبط فيها العالم العربي على أمل فتح باب الدعوة لحياة أكثر عزة وحفظا للكرامة.

كما يتخذ المجاطي من الاحساس بالغربة رمزا لضياع الذي يعيشه داخل عالم تلاشت فيها ركائز الوحدة خصوصا بعد نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨؛ حيث جاء العنوان شاملا لمجموع الأحاسيس التي تنتاب العربي فلفظ "النكبة" مع تحديد زمانها ومكانها هو غصة شاهدة على غربة وألم المتلقي، حيث غربة الكون والمدينة وغربة الحب والانتماء والغربة حتى في الحروف التي ألحقها المجاطي مؤخرا بديوانه؛ وهي الغربة التي تفتح مجالا واسعا لثنائية الموت والحياة التي تنتهي عند الشاعر بالمقاومة لأنه يرفض الاستسلام والموت المجاني.

تحضر الخمرة إلى جانب الموت كرمز لإلهام الشاعر في ترحاله عن الواقع حيث يغيب العقل ويفتح المجال للأحلام والحرية والانطلاق إلى عالم أخر، حيث الخمر بديلا لموضوع السكر الصوفي فللخمرة نفس الأثر في الارتقاء عن العالم المحيط " «بسبب تشابه كل من آثارها وآثار السكر الصوفي التي يمكن أن نتبينها في غياب التوازن وحسارة رقابة العقل، وحضور الرعونة والتهتك والشطح ».[٣١] استدعى المجاطي لفظ الخمر في أكثر من موضع بتصريح مباشر للفظ؛ بينما أورده في أسطر شعرية بألفاظ أخرى (**النبيذ/ الجعة/**

---

[٣١]- أمين يوسف عودة/ تجليات الشعر الصوفي: قراءة في الأحوال والمقامات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠١، ص ٣٣٧.

الكأس) [٣٢].؛ والتنوع في لفظ الخمرة إنما ناتج عن سيطرة الغياب والموت على جل الأماكن والشخوص خصوصا وعودة الغائبين وما حملت من يأس وذل لا يمحوه سوى الغياب عن الواقع والارتماء في أحضان الخمر؛ امتزجت قصائد المجاطي امتزاجا كاملا ببنية نصوص التراث فنا ومعملرا ليضح أقرب ما يكون إلى البناء العفوي الذي نمت من خلاله القصيدة؛ واستطاع بقدراته الإبداعية وإمكاناته الفنية تكييف تلك النصوص والاشارات والتلميحات والمعطيات دون تقييد بسياقاتها وورودها في متون نصوصها الأصلية.

رام المجاطي من وراء استعمال التناص تحقيق غايات دلالية توعوية واغناء القول بمكون استشهادي عميق الصلة بمغزى النص وتأملاته؛ حتى لا تبدو نشازا أو حشو؛ كما لجأ المجاطي في تناصه لتوظيف الألفاظ توظيفا تارة بطريقة مباشرة وتارة أخرى غير مباشرة؛ فالتناص تقنية فنية تهدف إلى الرقي بالنص إلى أعلى مستويات الأدائية وأساليبه التعبيرية من خلال إضفاء الصفة الموضوعيةوكسب الحاضر شرعية الوجود.

---

[٣٢]- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، ص ٤٦.

ختاما:

يظل التناص الداعم القوي والمحقق الفعلي لحضور النص وتفاعل القارئ معه، حيث يحضر التناص في النصوص حسب حاجة النص لدعم فكرة أو نفيها؛ مما يجعل النص شعرا كان أو نثرا قابلا للانفتاح على مجموعة من النصوص المختلفة عن طبيعة النص الأصل وقادرة على الانسجام معه ليكشفها المتلقي ويجد ذاته داخل تفصيلة من تفاصيل هذا المزج سواء كان اقتباسا أو تضمينا أو غيرها من الظواهر المحققة للتناص لتساهم في كشف مغاليق النص وتصاحبه في رحلة اكتساب الحضور والهوية الثقافية والنوعية.

النتائج والتوصيات:

-تبين وفرة الدراسات والبحوث التي أنجزت في التناص أهميته في فهم الموضوعات وتحليل أبعادها.

-التناص وسيلة مهمة في تقريب المعاني التي يرمي الكاتب افهامها للمتلقيوكشف حقيقة النص.

-يعد التناص الداعم الحقيقي للنصوص إذا يعمل على إثراء الموضوعات وتزكيتها.

-التناص من الآليات التحليلية التي يستعان بها في كل المجالات الفكرية والابداعية واللغوية والأدبية والعلمية.

-تتعدد المنابع التي ينهل من التناص حسب حاجة الكاتب وأيضا حسب ما يتطلبه الموضوع من نصوص موازية للفكرة التي يدافع عنها.

-يعد القرآن الكريم والشعر من أهم المصادر التي يلجأ اليها الكاتب في التناص؛ حيث تتماشى مع أغلب الموضوعات ولعلها الداعم الأول والمدافع القوي عن فكرة صاحب النص لأن حجة القرآن الكريم والأشعار من أقوى الحجج والبراهين التي يمكن الاستدلال بها.

وقد خلصنا الى جملة توصيات نجملها في:

-أن نشجع الباحثون على استخدام آليات التناص لأنها أبلغ في التأثير وأدعى للترغيب والترهيب.

- أن تُخصص البحوث لدراسة أساليب التناص في النصوص للإثبات القضية ودفاع عنها.

-أن يقوم الباحثون بدراسة أساليب التناص لتزكية الأفكار والموضوعات.

-تخصيص دراسات في آليات التناص وموضوعاته وخصوصياته وأهدافه

المراجع والمصادر:

- أحمد الزغبي/ التناص نظريا وتطبيقيا، عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ٢، ٢٠٠٠.

- أحمد المجاطي/ ديوان الفروسية، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، مكتبة الأدب المغربي، سلسلة الإبداع ٢.

- أحمد بن محمد النيسابوري (الميداني)/ مجمع الأمثال، مؤسسة الطبع والنشر للآستانة، ج١ ب ط، ١٣٠٠.

- أمين يوسف عودة/ تجليات الشعر الصوفي: قراءة في الأحوال والمقامات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠١.

- بن الرشيق / العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، ب ط.

- جوليا كريســـتفيا/ علم النص: تح فريد الزاهي، الدار العربية للعلوم ناشـــرون، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٠.

- حسن لشكر/ النسق الشعري في ديوان الفروسية، مجلة المشكاة، وجدة، ع ٢٤، ١٩٩٦.

- سعيد يقطين/ الرواية والتراث السردي، من أجل وعي جديد بالتراث، دار لإكز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٢.

- ســـعيد يقطين/ انفتاح النص الروائي النص والســـياق، لإكز الثقافي العربي للنشـــر، المغرب، ط ٢، ٢٠١٠.

- محمد بِرِّي/ تقابلات النص وبلاغة الخطاب: نحو تأويل تقابلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٠.

- محمد الطاهر ابن عاشور/ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ب ط، ١٩٨٤، ج ٣٠.

- محمد مفتاح/ تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، لإكز الثقافي العربي للنشر، بيروت ط ٢، ١٩٨٦.

- محمد مفتاح/ دينامية النص، لإكز الثقافي العربي للنشر، بيروت ط ٢، ١٩٩٠.